مثل العبد الشرير الذي لا يغفر لغيره (متى ١٨: ٢١-٣٥)

تأليف: تومي ساوث

يتحدث الأصحاح الثامن عشر من إنجيل متى عن المغفرة. تحدث يسوع عن الراعي الذي اضاع خروفاً ومضى يبحث عنه. وعندما وجده فرح «به أكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل». هذا يوضح كيف ان الله يحب الخطاة ويريد ان يغفر لهم.

ثم تحدث يسوع عما تفعله إذا أخطأ إليك أخوك. «إن سمع منك، فقد ربحت أخاك» وإن لم يسمع، خذ معك اثنين أو ثلاث. فإذا لم يسمع لهم، أعرض الأمرعلي الكنيسة. القصد من هذا الإجراء هو ان يوتي بالتوبة والمغفرة. ويتضمن على هذه الفكرة: افعل كل ما بوسعك لتجعل الخاطيء يتوب، وعندما يتوب، أغفر له! (متى ١٨: ١٥-٢٠).

عندما نقرأ هذا، يجب أن تترك اهميته انطباعاً قويا فينا. ولكن لم يكن الأمر هكذا مع بطرس. ما ترك انطباعا عند بطرس هو انه يجب أن يغفر للخاطيء التائب. ولكنه يتساءل كم مرة يجب ان يغفر فيها.

> حينئذ تقدم إليه بطرس وقال: «يارب، كم مرة يخطيء إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» قال له يسوع: «لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات!» (متى ١٨: ٢١ و٢٢).

عندما فكر بطرس بانه يجب عليه أن يغفر سبع مرات للذين يخطيؤن إليه، فقد مضى بهذا إلى حد أبعد مما يوصي به معلمو الديانة اليهودية. كانوا يقولون بانه يجب على الشخص أن يغفر ثلاث مرات، ولا يغفر أربع مرات. قال يسوع: «لا أقول لك سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات».

لم يقصد يسوع بان تكون لدينا مفكرة أو دفتر ملحوظات لكي نتابع عدد الخطايا التي أرتكبت ضدنا حتى نغفر ٤٩٠ مرة فقط، دون مزيد. لم يقصد بان أغفر لك للمرة الـ ٤٩٠، وأقول في المرة الـ٤٩١: «هذا أكثر مما ينبغي، فإني لن أغفر لك بعد الآن!»، بل كان يقصد بان المغفرة يجب أن تتكرر كتكرار الخطية، وبان نستمر بالمغفرة بغض النظر عن عدد المرات التي يخطيء فيها إلينا الآخرون.

ولكي نشدد على موضوع المغفرة، تكلم يسوع عن إنسان غفر له ديناً عظيماً، ورفض أن يغفر ديناً صغيراً. كان عبدا مغفورا له ولم يغفر لغيره. نرى صلته بالمغفرة في أربع مراحل في هذه القصة.

كان عبداً لا يغفر

نقرأ في الآية ٢٣ ما يلي: «لذلك يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده». الملك في هذا المثل يرمز إلى الله. لهذا فان القصة تجعلنا ندرك بان الله يعتبرنا مسؤولين. هو يعرفنا؛ ويعرف خطايانا؛ ويحسب خطايانا علينا؛ وسـ«يصفي الحساب» يوماً ما، عندما يدعونا في يوم الدينونة ليجازينا بحسب كل ما عملناه، خيراً كان أم شراً (رومية ٢: ٦؛ رؤيا ٢٠: ١٢؛ الجامعة ١٢: ١٣). في الآية ٢٤ نرى أنه «لما ابتدأ في المحاسبة، قُدِّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة». ما يلفت انتباهنا حالاً هو الكمية التي كان العبد مديون بها: عشرة آلاف وزنة!

يقول بعض المتخصصون في دراسة

الكتاب المقدس بان الوزنة قد تقدر بحوالي ١,٠٠٠ دولاراً، هذه وجهة نظر معتدلة. ولكن يقول معظم المفسرون بان الوزنة (عند الاعتقاد بانها كانت وزنة الفضة) كانت تقدر بحوالي ١,٦٠٠ أو ١,٧٠٠ دولاراً (أي أكثر بستين أو سبعين بالمئة مما نقدرها). علاوة على ذلك، يقولون بانه إذا كانت المقصود هي وزنة الذهب، فتقدر أكثر بعشرين مرة! وهذا يجعل قيمة كل وزنة ٣٤,٠٠٠ دولاراً (أي أكثر بأربع وثلاثين مرة مما نقدرها). ولكننا سنستخدم القيمة المعتدلة، أي ١,٠٠٠ دولاراً كقيمة للوزنة. بعد ذلك التقييم، يكون العبد مديون بـ ١٠,٠٠٠,٠٠٠. هذا المبلغ مبالغ فيه. حتى أغنى إنسان في الوجود يعتقد بان ١٠,٠٠٠,٠٠٠ كان ديناً كبيراً.

ولكن ليس هذا إلا جزء من القصة. ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً حينذاك تُقَدّر بأكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً في وقتنا الحاضر. كان الدينار أجرة مناسبة لعمل يوم واحد، كما كانت الأجرة التي دفعت للعمال في مثل العمال في الكرم (متى ٢٠: ١-١٦). ولكن هذا يعني بان ذلك الإنسان كان مديون لسيده ما يعادل أجرة عمل لمدة ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة! افرض ان متوسط الأجرة ٢٥٠ دولاراً في الاسبوع. مقسومة على خمسة، هذا يعني بان متوسط الدخل اليومي كان ٥٠ دولاراً. خمسون دولار مضروبة في ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ يوماً تحصل على ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠! كان هذا الإنسان مديون لسيده بما يعادل ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ في يومنا هذا!

ماذا نتعلم من ذلك؟ كان الرجل مديونا بمبلغ لا يستطيع أبداً الابفاء به!

كيف تورط في مثل هذه الحالة؟ لا يعلم أحد. قال شخص ما بان العبد المذكور في القصة لا بد انه كان إنسان رفيع المستوى وكان يختلس من أموال المملكة. ولكن لا يبدو هذا محتملاً. لأنه حتى ذلك لم يؤدي إلى مثل ذلك الدين الهائل. كتب شخص ما:

لنقدم بعض الافكار عن حجم ذلك الدين الهائل كان يوازي مجموع الضرائب لخمسة محافظات (اليهودية، والبيرية، والأدومية، والسامرة، والجليل)، ويقدر بثمنماية وزنة فقط. أي بعبارة أخرى، كان دين العبد يفوق ميزانية الدولة بأكثر من عشرة مرات.

كيف يمكن لإنسان أن يكون مدينا بمثل هذه المبالغ العالية؟ يبدو بان الإجابة علي هذا السؤال هي بانه كان مستحيلاً له أن يسدد مثل ذلك الدين!

لماذا استخدم يسوع مثل هذا الرقم؟ لأنه أراد أن يوضح كيف كانت المغفرة في ملكوت السموات (متى ١٨: ٢٣). لكي يلفت انتباه سامعيه إلى حجم غفران الله، كان عليه أن يلفت انتباههم إلى حجم الدَيْن، أي الخطية التي غفرت لهم عندما صاروا أولاد الله.

إذاً الدرس هو: نحن أيضاً يائسين في دفع الدَيْن بسبب خطايانا. الخطية شيء بغيض جداً تغضب الله إلى حد لا يمكننا أن نتخلص منها بانفسنا. نحن مديونين له بما لا نستطيع أن نفي به!

نقرأ في الآية ٢٥ ما يلي: «وإذ لم يكن له ما يوفي، أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفى الدين». كم سيمضي من الوقت حتى يفي بما عليه من الدين؟ نفرض ان الدَيْن كان ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً، بفائدة ٥٪. ستكون الفائدة وحدها ٥٠٠,٠٠٠ دولاراً في السنة. ما هو احتمال دفع ذلك المقدار عندما يكون في السجن؟ حتى ولو كان له مئة رجل يعملون له «خارج السجن» من الصعب جداً ان يحصلوا على ما يكفي لدفع الفائدة! الحقيقة هي انه لم يكن له أي احتمال لدفع ما كان عليه من الدَيْن. أُلقيَ في السجن ليقضي بقية حياته. كان عقابَه مؤبد.

هكذا نحن أيضاً: خطايانا بغيضة جداً بحيث ان العقاب العادل هو الجحيم. وهناك لا نعاني إلى حد يكفي لدفع ديوننا. إذن يكون عقابنا مثل عقاب ذلك العبد، غير انه كان في السجن مدى الحياة، وأما نحن فسنكون في السجن إلى الأبد!

وهكذا نرى في هذا المثل صورة واضحة

للخاطيء الذي لا يغفر لغيره: لقد أخطأ حيث ان الجميع أخطأوا (رومية ٣: ٢٣). يحاسبه الله على خطيته. خطيته فظيعة جداً بحيث سببت له دَيْناً لن يستطيع أن يفي به. قد ضل بلا رجاء. لا يمكن أن يعمل لله ما يكفي للتعويض عن الخطايا التي ارتكبها تجاه الله. وأخيراً يدعوه الله ويحاسبه ويعاقبه بسبب تلك الخطية. ما هو ذلك العقاب؟ «أجرة الخطية هي موت» (رومية ٦: ٢٣). والموت هو انفصال أبدي عن الله في الجحيم! ما أحزن تلك الصورة! ولكن لا تنتهي القصة هنا. نرى الإنسان في مرحلة أخرى.

كان عبداً مغفور له

نقرأ في الآية ٢٦ ما يلي: «فخَرّ العبد وسجد له قائلاً: يا سيد، تمهل عليّ فأوفيك الجميع». من الصعب ان نرى كيف فكر بانه سيوفي الجميع. ولكنه أدرك ان احتمال اعفاءه من ديونه هو فقط بطرح نفسه تحت رحمة سيده.

هذه هي فرصتنا الوحيدة نحن أيضاً. لا يمكن أن نخلص بأعمالنا الصالحة. الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نخلص بها هي أن نلقي أنفسنا تحت رحمة إلهنا الرحيم! عندما تستعد للمغفرة، لا تأتي إلى الله بهذه السلوك: «يا إلهي، أنا إنسان صالح جداً. ولكني لست متديناً كما ينبغي. أريد أن أقدم نفسي لأكون جزء من الكنيسة. أومن بانه يمكننا أن نتوصل إلى حل وسط في هذه المسألة. سأعتمد إذا كنت ستغفر خطاياي. وسأكون معك واعتبرك محظوظ بالحصول عليّ». هذه ليست الطريقة إلى المغفرة! لكي يُغْفَر لك، يجب أن تأتى إلى الله قائلاً: «ليس في يدي شيئاً لكي آتي به إليك؛ بصليبك ألتصق فقط» وتدري بانك مديون لله بأكثر مما يمكن ان تفي به. عليك أن تأتي متوسلاً كما صلى العشار: «اللّهُمّ ارحمني أنا الخاطيء».[١] عليك أن تأتي معترفاً كما فعل الابن الضال: «أخطأتُ إلى السماء ... ولستُ مستحقاً ...»[٢]

وطبعاً عليك أن تأتي إلى المسيح بالطريقة التي أوضحها الله في الكتاب المقدس: أن تؤمن بيسوع (يوحنا ٨: ٢٤)، وتعترف بإيمانك (متى ١٠: ٣٢)، وتتوب عن خطاياك (لوقا ١٣: ٣)، وتعتمد لكي تخلص (مرقس ١٦: ١٦). ولكن عندما تعمل هذه الأشياء، لا ينبغي أن تعتقد بانك تحصل على مساومة مع الله؛ لا يمكن أن تقول لله: سأفعل هذا من جانبي ويجب أن تعطيني ذلك المقدار من الخلاص. عليك أن تقوم بهذه الأعمال كأنك تتوسل وتتضرع إلى الله لأجل الرحمة، عالماً بان كل ما تفعله لا يأتي لك بالخلاص!

تقول الآية ٢٧: «فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدّيْن». هذا هو الخبر السار! قد أعفى الملك من الدَيْن الذي لم يكن ممكنا للعبد أن يوفي به. هذا ينطبق علينا؛ هذا ما يسمى بالنعمة. يغفر لنا الله بأكثر مما نستحق! يمنحنا حظوة لم نحصل عليها بجهدنا. قد أعفى عن الدَيْن لم نفي به ولا يمكن لنا ان نفي به، ولم يكن لنا أي أمل للوفاء به!

لاحظ بان الملك في هذه القصة لم يسامح العبد بعد ما دفع الدَّيْن. ولا يغفر الله لنا بعد ما نعمل ما يكفي ليمحي الدّيْن الذي علينا. بل يقبل دم المسيح ثمناً لذنوب خطايانا، بدلاً من أن يُطلب منا أن نوفي بها في جحيم أبدي (أنظر تيطس ٣: ٥).

ولكن القصة لم تنتهي هنا. يؤسف أن يقال: بعد ما غُفر له، أخفق العبد في أن يغفر لغيره.

كان عبدا لا يغفر

نقرأ في الآية ٢٨: «ولما خرج ذلك العبد، وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً بمئة دينار. فأمسكه وأخذه بعنقه قائلاً: أوفني ما لي عليك!» يا للوغد! غُفر له. كان عليه أن يفرح. كان عليه أن يسامح كل من كان له عليه دينا.

ولكنه خرج حالاً من عند الملك وهجم على إنسان كان مديوناً له. أمسكه بعنقه وبدأ يخنقه قائلاً له: «أوفني ما لي عليك!»

كان له دين ١٠٠ دينار. ربما كان ذلك يعادل حوالي ٢٠ دولاراً. أو أجرة مئة يوم. ربما يقدر ذلك في يومنا هذا بحوالي ٥,٠٠٠ دولار. هذه كمية كبيرة ولكن يمكن الوفاء بها. والشيء

المهم هنا هو التباين بين هذا المقدار والمقدار الذي غُفر له. قارن بين الدين ب ٢٠ دولار والدين بـ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولاراً!

ماذا نتعلم من هذا؟ نتعلم انه مهما طُلب منا أن نغفر، فانه لا يقارن ذلك بما غفر الله لنا. مهما كانت خطايا الآخرين إليك، فخطاياك تجاه الله أعظم إلى أبعد حد!. إذن، ألا يجب عليك أن تسامح بما ارتكبه الآخرون ضدك من الأخطاء؟

نقرأ في الآيتين التاليتين ما يلي: «فخَرّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً: تمهل عليّ فأُوفيك الجميع. فلم يرد، بل مضى والقاه في السجن حتى يوفي الدّيْن». كان قد رُحم العبد المذكور في هذه القصة، ولكنه لم يرحم. وجد نفسه في مكان الملك. كان باستطاعه أن يغفر. ولكنه لم يتعلم شيئاً من المثل الذي أعطاه الملك. عندما خَرّ أمام الملك، سامحه الملك. وعندما خَرّ العبد رفيقه أمامه، رفض مسامحته.

نكون نحن مثل ذلك أحياناً: مع انه قد غفر لنا، نرفض ان نغفر لآخرين. عندما يوبخني شخص ما، بدلاً من أن أسامحه، أوبخه في المرة التالية عندما أراه. أعتقد بان شخص ما يغش في مكان العمل ونال الترقية التي كان يجب عليّ أن أنالها، فأفعل كل ما بوسعي لأمنعه عن عمله.

قد يحدث هذا حتى في الكنيسة: «لا يسمحون لي أن أدرس الكتاب المقدس، ويصدرون الاعلان عندما يكون أي شخص آخر مريضاً، ولكنهم لا يعلنون عن ذلك عندما أكون مريضاً، لن اسامحهم أبداً، بل أجعلهم يندمون؛ سأوذيهم بقدر ما استطيع». قد غفر لنا كثيراً، ولكن نرفض ان نغفر مع ان الخطايا التي أرتكبت ضدنا قليلة جداً.

نقرأ في الآية ٣١ ما يلي: «فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان، حزنوا جداً، وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى». انه محزن جداً عندما يخفق المسيحيون في المسامحة. ولكن النقطة الأساسية هي ان الملك أُخْبِر، ولكن ملكنا الذي هو الله يعلم متى أخفقنا في ان نغفر!

يأتي بنا هذا إلى المقام التالي لهذا العبد:

أصبح عبداً لا يغفر

ما دام لم يغفر، لا يُغْفَر له أيضاً.

تقول الآيتان ٣٢ و٣٣: «فدعاه حينئذ سيده، وقال له: أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليّ أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟» كان من المعقول للإنسان الذي غفر له أن يغفر للآخرين أيضاً.

من المعقول لنا نحن الذين غفر لنا أن نسامح الآخرين أيضاً بالمثل! قد أُمِرْنا لنفعل ذلك: «محتملين بعضكم بعضاً ومَسامحين بعضكم بعضاً. إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً» (كولوسي ٣: ١٣). علينا أن نحب الآخرين كما أحبنا الله، ونغفر لهم كما غفر الله لنا!

ولكن قد نعترض ونقول: «انه لا يستحق أن أغفر له». كم كان مدي استحقاقنا عندما غفر الله لنا؟ أو قد نقول: «قد ارتكب أشياء فظيعة جداً أكثر مما يمكن أن أغفر له». ولكن ما أفظع الأشياء التي كنا قد ارتكبناها ضد الله؟ بما يعادل دَيْن عشرة آلاف وزنة. جُلِدَ يسوع وبُصق عليه وأُستُهزأ به وضُرِب وصُلِب. ومع ذلك شاء أن يغفر. أو قد نقول: «انه لم يأتي بعد ويتوسل إليّ لأُسامحه». هل توسل أحد إلى يسوع لأجل المغفرة عندما صلى قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»؟[٣]

بعبارة أخرى لا يوجد عذر لعدم رغبنا في أن نغفر. كما شاء الله أن يغفر لنا مجاناً هكذا أيضاً ينبغي أن نغفر لبعضنا البعض.

تقول الآية ٣٤: «وغضب سيده، وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه». ما هي عواقب عدم المغفرة للآخرين؟ أولاً: عندما نخفق في أن نغفر، نغضب الله! انه شيء مخيف ان نغضب الله و«مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عبرانيين ١٠: ٣١). ثانياً: عندما نخفق في أن نغفر، سننال العقاب نفسه الذي كنا نستحقه قبل توبتنا. ألغى الملك المسامحة وألقى العبد في السجن حتى يوفي

بكل الدّيْن. ما هي الفترة الزمنية التي يستغرقها هذا؟ اهي إلى الأبد! لن يستطيع أن يفي به. هكذا الحال بنا أيضاً. عندما لا نغفر، نكون تحت العقاب نفسه – أي العقاب الأبدي!

تُقرأ الآية ٣٥ على النحو التالي: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخية زلاته» مغفرة الله لنا تتوقف على مغفرتنا للآخرين. ويجب أن نغفر من قلوبنا. إذا رفضنا أن نغفر، لن يغفر لنا (متى ٦: ١٤ و١٥). كلنا نحتاج إلى رحمة الله والمغفرة لكي نخلص ونبقى مخلصين.

الخلاصة

قد تحدثنا عن أربع مراحل في قصة هذا العبد. أولاً: لم يكن غفوراً (قبل أن يغفر له)؛ ثانياً: لقد غُفر له. ثالثاً: لم يكن غفوراً (بعد ما غُفر له). رابعَاً: لم يُغْفَر له. أعتقد بانه يمكن لكَل شخص أن يجد نفسه في مثل إحدى هذه المواقف. فأين تجد نفسك؟

إن لم تكن غفورا ومسامحاً، فأعلم بان الله يحبك ويريد أن يغفر لك، مهما كنت تشعر بعضم خطاياك. وأعلم أيضاً بانك إذا أتيت إليه بالطريقة التي أوضحها في كلمته، لا يمكن له أن لا يقبلك ويغفر لك ويجعلك خاصته.

---

[1]لوقا ١٨: ١٣.
[2]لوقا ١٥: ١٨ و٢٠.
[3]لوقا ١٣: ٣٤.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧